

الظاهرة الإسلامية



د. محمد عمار



الظاهرة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة للناسر

المختار الاسلامى

أسسها حسين عاشور عام ١٩٧٢

القاهرة ١٥ شارع شهاب - المهندسين

ص ب ١٧٠٧ - القاهرة - رمز بريدى ١٥١١ - تليفاكس ٢٤٩٠٤١١ -

د. محمد عمارة

الظاهرة الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• إسلامية المعرفة تعنى اكتشاف العلاقة بين الإسلام الدين والمعرفة الإنسانية، والعلاقة تأتي في العلوم الطبيعية عند توظيف حقائقها وضبط تطبيقاتها .

• المسلم حينما يسعته بالله من الشيطان الرجيم يمارس نوعاً من إسلامية المعرفة .

• المهام الحركية غلبت على الإبداع الفكري داخل الحركات الإسلامية وقطاع كبير من المشتغلين بالفكر لا يرون الآخر

• الوسطية الإسلامية مسألة تجمع عناصر الحق والعدل ، وتتسم بالعقلانية والإيمان الإسلامي وترفض كل أنواع الغلو .

• فلسفة الغرب في تحرير المرأة تدير معركة بين الرجل وبين المرأة وأرادت للمرأة أن تكون نداً مساوياً للرجل أما فلسفة الإسلام فأرادت أن تكون المرأة هي الشق المكمل والمساوي للرجل .

• الأفغانى أكد أن مسألة المستقبل العادل نظرية خرافية لكن محمد عبده تحدث عن القوى العادل .

• كوثرانى لم يقرأ مشروعى الفكرى ولم يعرف عناوين كتبى ونحن امتداد متطور لفكر المدرسة الإصلاحية باعتبار أننا محكومون بالإسلام .

- الإبداع لا يكون بالثورة على الموروث والقطيعة معه ،
وهؤلاء الذين يروجون لهذه القطيعة أسرى لمفهوم
الحداثة الغربية ويقفون أذلاء أمام أرسطو .
- نعت العلمانيين لى بالمنظر الدولي للحركة الإسلامية
شرف لا أدعيه ، وهم لا يقصدون منه المديح ، وإنما
استعداد السلطات ضدى .
- لست جزعا مما يقال عن اختراق الحياة الثقافية ،
ورموز كوينهاجن مجرد أدوات للدولة ويقفون مع
إسرائيل فى خندق واحد .
- التياران القومى والإسلامى يمثلان أصالة الأمة
والتيارات المتغربة امتدادات سرطانية للعدو فى قلب
الواقع الإسلامى .

د . محمد عمارة

مقدمة

العمل فى حقل الفكر الإسلامى يحتاج إلى مؤهلات خاصة وأداء متميز يتناسب وعظم ومكانة الفكر الإسلامى فى عقول الأمة ، فكل من يعمل فى هذا المجال يقف على ثغرة غاية فى الأهمية ، كثيرا ما يؤتى الإسلام من قبلها ، حيث تثار الاتهامات تلو الاتهامات ، ويدعى الحاقدون أنه - أى الإسلام - لا يواكب المتغيرات والعلوم الحديثة كما يشكك البعض الآخر كون الإسلام نفسه دستورا ومكان ، وينكر البعض الآخر كون الإسلام نفسه دستورا جاء لينظم العلاقات بين البشر فى جميع مناحى الحياة ، بل تصل الافتراءات إلى حد الزعم بأنه هضم حقوق المرأة . هذه الاتهامات والفرى تصدر من حائقين على الإسلام لاهم لهم إلا إثارة الشبهات حوله ، ومن ثم فليس كل من أطلق عليه أنه (مفكر) أو (عالم) يستطيع أن يتصدى لهذه الدعاوى الزائفة ومن أبرز المفكرين الإسلاميين القلائل الذين لهم جهود كبيرة فى هذا المجال المفكر الإسلامى الكبير د . محمد عمارة ، الذى نعتته

العلمانيون بلقب (المنظر الدولي للحركة الإسلامية) وقد
أثرى د . عمارة المكتبة العربية والإسلامية بما يزيد على
مائة كتاب فى مختلف صنوف الفكر والمعارف والعلوم
الإسلامية ، وجمع الأعمال الكاملة لعدد كبير من الأئمة
والمفكرين رموز المدرسة الإصلاحية. وهو فى تقديرنا
يستحق أن نطلق عليه (قاهر العلمانيين) الذين رأوا
قبلتهم وخلصهم فى قيم الغرب جميعها الحسنة والسيئة ،
وبرغم ذلك فإن هؤلاء يعملون له حسابا وألف حساب كما
أنه ينال احترام الجميع من أبناء الحركات الإسلامية وهو
من أبناء المدرسة الوسطية المعتدلة الذين يدافعون عن
الإسلام بوعى وإدراك وبصر وعلم ، وقد استمد هذه
المكانة العظيمة من الأمة على عكس الكثيرين ممن خلعوا
على أنفسهم لقب علماء ومفكرين ، وهم أبعد ما يكونون
عن ذلك ، ومن دافع حبه للإسلام يقود الآن معركة لاهوادة
فيها ضد المشروع الغربى الصهيونى الاستعمارى فى كثير
من كتاباته .

وقد عرف عن د . عمارة أنه وقف ضد كثير من رموز

العلمانيين مناظراً وداحضاً لحججهم الواهية ، ولعل
مناظرة معرض القاهرة الدولي للكتاب الشهيرة سنة
١٩٩٢ كانت دليلاً قوياً على عمليته في هذا الاتجاه ،
فقد رد مطاعن كبار العلمانيين (محمد أحمد خلف الله
وفرّج فودة) في نحرهم ، مؤكداً أنهم يقرأون الإسلام
بعيون غريبة .

المختار الإسلامي

إسلامية المعرفة

•• أثير جدل واسع حول مصطلح أسلمة المعرفة ..
فهل يمكن تحديد المقصود به من وجهة نظركم ؟
وما علاقة ذلك بأسلمة الواقع ؟

□ قضية إسلامية المعرفة من القضايا التي فهمت
وتفهم خطأ لدى الكثيرين ، ومنهم الذين يرفعون هذا
الشعار أنفسهم ، وبعض الإسلاميين ، والمثقفين والمفكرين
العلمانيين ، فالبعض يتصور أن إسلامية المعرفة يجب أن
تنسحب على جميع العلوم بما فيها العلوم الطبيعية كأن
تكون هناك كيمياء إسلامية وجبر إسلامي وطبيعة
إسلامية ، وفلك إسلامي ، وطب إسلامي وفي مقابل ذلك
هناك علوم كافرة ، ومن هنا أصبح شعار إسلامية المعرفة
العزلة العلمية للأمة الإسلامية عن العلم والفكر العالمي .
وهناك البعض الآخر الذي فهم إسلامية المعرفة على نحو
أن تأتي بالعلوم الغربية المتمثلة في الاجتياح والسياسة
وعلم النفس والاقتصاد وغيره ، وتدخل عليها بعض
الآيات والأحاديث ، وبالتالي يصبح لدينا علم النفس

الإسلامي ، والاقتصاد الإسلامي ، والسياسة الإسلامية وغيرها ، برغم أن هذه العلوم هي نفسها علوم الغرب بنفس مناهجه .

وقد بدأ اهتمامي بهذه القضية حينما كانت لي علاقة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي حيث كانت هذه المسألة ضمن أولوياته ، وكان ينتوى إصدار مشروع فكري يضم عددا من المداخل التي تعالج إسلامية المعرفة في العلوم المختلفة ، بمعنى ماذا تعني إسلامية المعرفة في الفلسفة ؟ وماذا تعني في الاقتصاد ؟ وماذا تعني في السياسة ؟ وهكذا ، وطلب مني المعهد أن أكتب الباب التمهيدي للمشروع ، فأعددت دراسة حول مفهوم إسلامية المعرفة . ولما تعشر إتمام المشروع ، نشرت الدراسة تحت عنوان (إسلامية المعرفة) وكانت رؤيتي تتلخص في أن الإسلام دين إلهي ، بمعنى أنه وحى سماوي ووضع إلهي ، أما المعرفة فهي كسب بشري في مختلف ميادين المعرفة بمعنى أن الآداب والفنون والاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلوم الطبيعية معارف ، إذن الإنسان له معارف وإلى

جانب ذلك يوجد الإسلام (الوحي الإلهي) .
 وإسلامية المعرفة في هذا الإطار تعني : اكتشاف
 العلاقة بين الإسلام الدين والمعرفة الإنسانية ، بمعنى هل
 هناك علاقة أم لا ؟ والإجابة أن هناك علاقة قوية بين
 الإسلام والمعرفة ، وتقول للذين ينكرون ذلك ويعارضون
 إسلامية المعرفة : لماذا قبلتم وتقبلون أن يكون هناك علم
 اجتماع ماركسي من منطلق أن الماركسية نظرية فلسفية
 ولها علاقة بعلم الاجتماع ؟ إذن لماذا لا يكون هناك علم
 الاجتماع الإسلامي ؟ وإذا كان هناك ما يسمى بالاقتصاد
 السياسي الماركسي فلماذا لا يكون هناك اقتصاد سياسي
 إسلامي ؟ وإذا كان هناك آداب وفنون ماركسية تنطلق من
 الفلسفة الماركسية ؟ إذن لماذا لا تكون هناك آداب وفنون
 إسلامية ؟ بل إنهم يقولون هناك علم اجتماع أمريكي
 اللاتينية ، إذن حتى الواقع له تأثير في المعارف والعلوم ،
 وقياساً على ذلك وما أن للإسلام فلسفة في رؤية الإنسان
 فإن هذه الفلسفة لها انعكاس في معارفه أي أن الإنسان
 في العلوم الإنسانية يفكر ويعرف متأثراً بعاداته وتقاليده

وأعراقه وفلسفته ورؤيته للكون وعقيدته وعرائه وغيره ،
إذن فالإسلام له تأثير فى معارف الإنسان المسلم الذى
يعيش فى مجتمع مسلم ، ومن هنا فهناك علاقة بين
الإسلام والمعارف الإنسانية لكن هذه العلاقة أحياناً تكون
كبيرة وأحياناً أخرى تكون متوسطة وأحياناً تكون صغيرة
.. كيف ؟

العلوم الطبيعية علوم موضوعية ومحيدة لأنها علوم
المادة ، حقائقها وقوانينها ثابتة فليس هناك هندسة
إسلامية وكيمياء إسلامية وجبر إسلامى وغير إسلامى ،
لأن هذه الحقائق مشتركة إنسانى عام فالإنسان الذى يبحث
فى الطب سوف يصل إلى حقائق وهو يشرح الجسم البشرى
ويحلله ، سواء كان مسلماً أم غير مسلم ، وسواء كان فى
لندن أم فى باريس أم فى القاهرة ..

إذن حقائق العلوم الطبيعية لا علاقة لها بالأديان ولا
الفلسفات إنما العلاقة تأتى عند توظيف هذه الحقائق
وضبط تطبيقات العلم الطبيعى بأخلاقيات الإسلام ، وهذا
يعنى أن تدخل الإسلام فى العلوم الطبيعية محدود ، لكن

لو ارتفعنا مرتبة سنجد أن تدخل الإسلام أكبر في توجيه وصياغة العلوم الإنسانية ، لأنها علوم تتعلق بالنفس الإنسانية ، وهذه النفس تتشكل وتصاغ بناء على العقيدة فمقاصد السياسة مثلا كعلم إنسانى لابد أن تتأثر بالدين ، وكذلك تطبيقاتها ، لأن السياسة فى المقصود الإسلامى لا يمكن أن تكون هى الميكياقلية (منظور الحضارة الغربية) ، إذن للإسلام سياسة وعلماؤنا أطلقوا عليها (السياسة الشرعية) ومن هنا فإن هناك إسلامية للمعرفة فى العلوم الإنسانية درجتها أعلى من درجتها فى العلم الطبيعى .

لكن لو ارتفعنا مرتبة أخرى فى المعارف والعلوم سنجد أن نسبة الإسلامية فى العلوم الشرعية أعلى ، لأن موضوعها الكتاب والسنة ، والنسبة تصل إلى ١٠٠٪ إذن نحن نؤمن أن هناك علاقة بين الإسلام والمعرفة لكنها تتميز بتميز حقول المعرفة فإذا كان الحقل علوما شرعيا فإن درجة الأسلمة كاملة ، وإذا كان الحقل علوما إنسانية فإن درجة الأسلمة كبيرة وإذا كان الحقل علوما طبيعية

ومحايدة فإن درجة الأسلمة تكمن في فلسفة تطبيقات هذه العلوم .

الالتزام الإسلامى

•• مامدى نجاح مدرسة أسلمة المعرفة فى علاج

الأزمة الفكرية التى تعيشها الأمة ؟

□ إن كل من يفكرون فى إطار الإسلام معارفهم إسلامية بدرجة أو بأخرى سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوا بمعنى أن الإنسان الذى يريد شراء كتاب أو قصة إذا كانت معايير إسلامية فإنه سيتخير معارف إسلامية والكاتب الإسلامى عندما يريد أن يفكر أو يكتب سوف يختار موضوعات تتفق مع عقيدته فلا أظن أن كاتباً إسلامياً يكتب أدباً فاضحاً ويتحدث عن العورات والذمارة وغيرها ، فهو دون أن يعي أن هناك ما يسمى بإسلامية المعرفة يمارس إسلامية المعرفة ، لأن إسلامه له تأثير فى معارفه وتفكيره وتصورات ، والمسلم حينما يستعبد بالله من الشيطان الرجيم يمارس نوعاً من إسلامية المعرفة ، لأنه لا يريد لمعارفه وأفكاره أن تغوص فى المحرمات ، إذن الالتزام الإسلامى يولد بشكل طبيعى معرفة إسلامية ،

أما الذين يقفون خارج هذه الدائرة ، فمرجعيتهم الفكرية وفلسفاتهم غير إسلامية أو معادية للإسلام ، فهناك كتاب يشيعون الفاحشة فيما يكتبون ، لأن مصادرهم المعرفية ومحركاتهم الفكرية تنقض القيم والضوابط الإسلامية فيقدمون معارف معادية للإيمان ومطلق الدين فضلا عن التدين بالإسلام ، ومن هنا فإن نجاح إسلامية المعرفة أو عدم نجاحها هو ثمرة للمرجعية الفكرية للذين يكتبون المعرفة وينتجونها .

الظاهرة الإسلامية

•• كيف تقومون أداء الحركة الإسلامية من الناحية الضكرية ؟

□ دعنى أتحدث أولاً عن الظاهرة الإسلامية وليس
الحركة الإسلامية ، لأن الظاهرة أعم وأشمل من الحركة فما
نسميه بالظاهرة الإسلامية أو اليقظة أو الصحوة تضم
شرائح وفصائل متعددة ، بمعنى أن هناك مداً شعبياً
متديناً ، وجماهير الأمة تبحث عن الحلال والحرام فيما
تكسب وتعمل وتمارس ، وهذا القطاع يعد من أكبر شرائح
الظاهرة الإسلامية المعاصرة ، وهناك شريحة العمل الخيرية
والتطوعى المتمثلة فى الجمعيات الخيرية والإغاثية ، وهذه
شريحة كبيرة ، وقد لا تكون شريحة سياسية أو منظمة فى
حركات أو أحزاب مثلها مثل المد الشعبى المتدين ، كما
أن هناك شريحة المؤسسات العلمية الإسلامية الذين
يشتغلون بالفكر والثقافة الإسلامية وقطاع كبير من هذه
المؤسسات أيضاً ليس داخل الحركة الإسلامية ، فالجامعات
الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى والمؤسسات

الفكرية الإسلامية والمؤسسات البحثية وعدد كبير من المثقفين والمفكرين الذين يجتهدون في إطار الفكر الإسلامي والرؤية الحضارية ويدخلون صراعات فكرية - قطاع كبير من هذا الفصيل أيضا غير حركي وغير حزبي ..

ثم هناك الحركات بمعنى التنظيمات الإسلامية ، وهي أيضا ليست شريحة واحدة ، لأن بها قطاعا يغلب عليه الجمود والتقليد ، وقطاعا اختار طريق العنف والغضب والرفض للمواقع والاستعلاء عليه وهناك قطاع الحركات الوسطية في التنظيمات الإسلامية والقطاع الوسطي هو القطاع الأكبر بينما شريحة الغلو والعنف محدودة ، وأيضا شريحة الجمود والتقليد محدودة وهاتان الشريحتان صوتهما عال ومزعج برغم محدوديتهما ، هذا هو تصوّر لظاهرة المد الإسلامي المعاصر .

وإذا نظرنا إلى هذه الظاهرة نظرة إجمالية نجد أن دورها الفكري ليس قليلا ، ففيه اجتهاد معقول وتجديد معقول أيضا بالرغم من أننا نطمح للأكثر . لأن التحديات أكثر

من عطائنا الذى نقدمه ، لكن هناك جهودا فكرية طيبة قد بذلت فى العقود الأخيرة ، وأثرت المكتبة العربية والإسلامية والمشكلة أن حجم الانتفاع والاستفادة منها قد لا يكون على النحو الأفضل .

وفيما يتعلق بالحركات الإسلامية على وجه التحديد ألمح أن الجهد الحركى يغلب على نظيره الفكرى ، فالحركات نجحت نجاحا باهرا وهى موضع فرح واعتزاز من كل الغيورين على الإسلام ، لأنها تستقطب جماهير الأمة وتكاد تكون هى الأوعية الوحيدة على الساحة العربية والإسلامية العامرة بالبشر لكن يبدو أن المهام الحركية غلبت على الإبداع الفكرى داخل هذه الحركات ، وأخشى أن أقول إن الاهتمام بالجانب الفكرى داخل الحركات ليس كبيرا فهناك كثير من الشباب - وهذا مسلك غير مرض - يعيشون على مستوى الدروس والكاسيت وبعض المحاضرات والكتب التى يغلب عليها الوعظ وترقيق القلوب ، وإذا كان البناء الروحى وما يرقق القلوب أمرا مطلوبيا فى عالم تقتحمه الفلسفة المادية ، إلا أن الفكر

مطلوب أيضا لكي ينير العقل ويعرفنا بالآخر ، وخاصة
تيارات الفكر العالمى فنحن نريد أن تقدم الإسلام بديلا
لنماذج اقتحمت علينا بيوتنا ، ومن هنا فلا نستطيع أن
نجهل الآخر أو نتجاهله وإلا كيف سننتزع المبادرة من يد
الآخر إذا لم نكن قادرين على فهمه ومجاورته ؟
إننى أشعر بقصور شديد فى الحركات الإسلامية فى هذا
الجانب .

أضف إلى ذلك أن هناك قطاعا كبيرا من المشتغلين
بالفكر فى الساحة الإسلامية ينظرون ثقافيا بعين واحدة
أى يرون تراثنا ولا يرون الآخر ، وصورة العالم غير كاملة
بالنسبة إليهم ومن هنا تبدو قدرتهم على الاستفادة من
الآخر ضعيفة والوعى بنقاط الضعف لدى الآخر ومعرفة
كيفية اقتحامه وكسره ضعيفة أيضا ، إذن الجانب الثقافى
والفكرى كصناعة ثقيلة له مستويات وكل مستوياته
مطلوبة فالفكر سلاح رئيسى بدونه لا يمكن للمشروع
الإسلامى أن ينتصر ، والحركات الإسلامية لديها قطاع من
القيادات والمستويات الشبابية المؤهلة للإبداع فى هذه

المبادىء ، لأن الحركات الإسلامية الآن ليست مثلها فى القديم عبارة عن مجموعة من الطلبة ، فعقل الأمة اليوم أصبح إسلاميا والنخبة إسلامية ، فتجربة نوادى هينات التدريس والنقابات فى مصر مثلا جمهورها إسلامي وانتخاباتها أفرزت قيادات إسلامية ، أى أن الصفوة إسلامية فى جميع القطاعات ، ولدينا كفاءات فى الحركة الإسلامية مؤهلة أن تصبح فلاسفة ومفكرين وعابرة فى الفكر العالمى والإسلامي ، وحتى تصبح لدينا كوادر فكرية لابد من إعدادها الإعداد الجيد عبر الدراسة والحوار والصبر ، فالفكر صناعة تحتاج إلى معاناة فى تحصيلها والحوار حولها وإنضاج القضايا .. فالمذاهب تكونت بالحوار ، والإمام أبو حنيفة كان يطرح القضايا على أصحابه ويجلسون شهورا يتحاورون حولها إلى أن يصلوا إلى رأى . وخلاصة الأمر أن الفكر يصنع بالدراسة ، وقد برع الماركسيون فى هذا الجانب ، ونجحوا فى إنشاء مدارس لتكوين كوادر ومن هنا يمكن أن يجمع شباب الحركة الإسلامية فى شكل مجموعات للمدرسة والتفكير

والمناقشة وفكرة البرامج الثقافية ذات الوزن الثقيل يجب أن يكون لها مكان في الحركات الإسلامية ، ويجب أن يكون هناك نوع من التكامل المعرفي بين جماهير الحركات الإسلامية وبين الإبداع الفكري الإسلامي الموجود في الساحة .

الوسطية الجامعة

•• كيف يمكن أن تستفيد الحركات الإسلامية
المنظمة من نهج مدرسة الوسطية والاعتدال
التي تتبنى مشروع إسلامية المعرفة ؟

□ هذا الميدان مهم جدا ، ولابد من توضيح معنى
الوسطية في الإسلام ، لأن هذه المسألة غير واضحة لدى
الكثيرين فقد يفهمها البعض على أنها تجميع وانعدام
موقف وإمساك العصا من المنتصف أو بالمعنى الأرسطي
هى فضيلة بين رذيلتين ، أو موقف بين أقصى اليمين
وأقصى اليسار ولا علاقة له بالطرفين ، وفى كتاب (معالم
المنهج الإسلامى) عقدت دراسة طويلة حول موضوع
الوسطية وتطبيقاتها فى الفكر والواقع الإسلامى ،
وأوضحت أن هناك نظرية إسلامية متميزة أطلقت عليها
(الوسطية الجامعة) التى تجمع عناصر الحق والعدل من
الأقطاب المتقابلة فتكون موقفا جديدا مغايرا للقطبين
المختلفين لكن المغايرة ليست تامة ، فالعقلانية الإسلامية
مثلا تجمع بين العقل والنقل ، والإيمان الإسلامى يجمع بين
الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة .

والوسطية الإسلامية أتصور أنها تعنى ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامى ، بل هى منظور الرؤية وبدونه لا يمكن أن تبصر حقيقة الإسلام ، وكأنها العدسة اللامة للنظام الإسلامى والفكرية الإسلامية ، والفقه الإسلامى وتطبيقاته فقه وسطى يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وفقه الواقع ، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً :

﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ ونحن لن نكون شهداء على الناس إلا إذا كانت لنا هذه الوسطية وهى ترفض كل أنواع الغلو الدينى وغير الدينى ، وترفض العنف والاستسلام ..

والوسطية ميدان من ميادين الفكر الإسلامى ، وتستطيع الحركات الإسلامية أن تهتم بها اهتماماً كبيراً وقد اهتمت به مدرسة الصحوة والإحياء والتجديد الإسلامى ، كما قام عليها تراث الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا .

والوسطية تركزى الأخذ من الغرب ، مع الالتزام بالأصول
بينما ترفض الذين يأخذون من الغرب كاملا ، لأن هذا لون
من الغلو والتطرف ، كما ترفض الذين يرفضون الغرب
كاملا ، لأن هذا أيضا لون من الغلو والتطرف .

ونحن لن نستطيع أن نستغنى عن المنهاج الوسطى فى
التعامل مع أية قضية من القضايا ، ومثال ذلك أن
الحركات الإسلامية يجب أن تهتم بمسألة الحرية ، إذ إنها
تهتم بالطاعة أكثر من الحرية ، وفى هذا الإطار كتبت
دراسة بعنوان :

(من مظاهر الخلل فى الحركات الإسلامية) ، رصدت
فيها مايقرب من عشرة مظاهر للخلل كان منها قضية
التركيز على الطاعة وليس الحرية ، كما أن قضية الثقافة
فى المجتمع الإسلامى مغبشة ، وعضو الحركة الإسلامية
يحتاج إلى مرحلة حضانة حتى تصبح لديه رؤية إسلامية
واضحة لكن لا يجب أن يعيش طوال حياته فى هذه
الحضانة ، فهناك خلل فى تثقيف الحركات الإسلامية ، إذ
لا بد من برنامج تثقيفى يصفى رؤية العضو من الغيش ،

لتصبح لديه قدرة على النظر والقراءة والمعاورة ، ومن هنا تكون معادلة بين الحرية والطاعة فالناس أحيانا تخلط بين الالتزام والإلزام ، فهناك إلزام جزء منه مطلوب حيث يؤدي إلى التزام ، لكن هناك حرية ونقدا ، ولذلك إذا لم تعدل الحركات الإسلامية من مناهجها في تربية الأعضاء سوف تصاب بكثير من القلاقل ، لأننا نعيش في عالم لانستطيع فيه غلق منافذ الثقافة فإذا لم يكن هناك حوار مع الآخر ، فإن منافذ الثقافة سوف تفسد عزلتنا ، لأنها مستحيلة .. إذن لابد من الموازنة بين الطاعة والحرية ، فالدولة نفسها سلطة نفوذها في أشياء وتقهرنا في أشياء في مقابل أن تنجز أشياء ، وهذا هو التعاقد الاجتماعي ، والحرية هي النسيم الذي يستنشقه الجميع ويجعل الهواء صحيا في هذا البيت الكبير .

المرأة ظلمت أكثر

•• ما تزال المرأة في عالمنا الإسلامي في إطار الواقع

والحركة الإسلامية بعيدة عن المشاركة

السياسية واتخاذ القرار.. كيف تفسرون ذلك ؟

□ لا بد أن نعترف أن جماهير الأمة ظلمت وأن المرأة ضمن هذه الجماهير ظلمت أكثر من الرجل ، برغم أن الإسلام حرر المرأة تحريرا حقيقيا ، وتجربة عصر النبوة والخلافة الراشدة تشهد على ذلك ، فقد كانت المرأة في الجاهلية توءد وكانت تعامل على أنها من سقط المتاع ثم جاء الإسلام ليكفل لها المساواة الحقيقية مع الرجل ، فحديث النبي صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال) يعد أسمى شعار لتحرير المرأة ، كما أن الآية القرآنية :

﴿ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف﴾ يقول بشأنها ابن عباس : هذه الآية تجعلني أترين لامرأتى كما تترين لى ، والقوامه (وللرجال عليهن درجة) يقول عنها محمد عبده إنها تفرض على المرأة شيئا وتفرض على الرجل أشياء ، مسئولية وليست ديكتاتورية فهي تعنى دوام

القيام على الأسرة لأداء الواجبات كما أن الإسلام كفل لها المساواة في التكاليف والخلق والجزاء والعقاب في إطار خصوصية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فتظل المرأة مع مساواتها بالرجل أنثى ويظل الرجل ذكرا ، أى لامتسح الأنوثة أو الذكورة ، كما هو حادث في المجتمعات الغربية ، وهذا هو الفارق بين فلسفة التحرير الإسلامى للمرأة وفلسفة تحرير الغرب لها . ففلسفة الغرب أرادت أن تكون هناك معركة بين الرجل وبين المرأة ، وأرادت للأخيرة أن تكون ندا مساويا للرجل ، بينما الفلسفة الإسلامية فى تحرير المرأة أرادت أن تكون المرأة هى الشق المكمل والمساوى ، ويكون هناك سعادة الاجتماع بين الشقين المتكاملين وليس الندين المتماثلين اللذين يخلقان نوعا من التنافر ، كما أن الرجل السوى لايسعده أن يكون أنثى والأنثى السوية لايسعدها أن تكون امرأة مسترجلة .

إن القرآن الكريم حينما يتحدث عن العلاقة الزوجية يطلق عليها (سكنا) وهذه اللفظة أجمل من الشعر وتنم عن الرقى فى وصف العلاقة ، كما يتجسد الرقى حينما

يتحدث عن المودة والرحمة ، والرقى حينما يتحدث عن الميثاق الغليظ .

الإمام محمد عبده - وقد كان عبقرى فى الإسلام ، كما كان عبقرى فى اللغة العربية - يتحدث عن الميثاق الغليظ فيلفت النظر إلى حقيقة مهمة وهى أن الفتاة تنشأ فى بيت والديها معززة مكرمة ، وبمجرد أن تخطب ويعقد عليها تقبل على خطيبها بشكل لا مثيل له ، وبمجرد أن تدخل بيته تفضى إليه بأسرار لا تفضى بها إلى أبيها وأمها ، وتكشف له ما لم تكشفه لأُمها . . كيف تكون الزوجية علاقة طارئة ويحدث فيها هذا ؟ إنه الميثاق الغليظ هذه المعانى هى التى عبر عنها القرآن الكريم فى منتهى الرقى .

لكن للأسف الشديد فلسفة تحرير المرأة فى الإسلام تراجعت فى التاريخ الإسلامى وليس فى الدين الإسلامى كما تراجعت فى الفقه الإسلامى ، انظر ماذا صنع الفقه الإسلامى عندما تراجع ؟ لقد تحدث عن عقد الزواج فقال إنه تمليك بضع الزوجة ، هذا كلام مقزز فالإمام ابن القيم

وهو إمام عظيم ، وأنا من أكثر الناس حبا له وسعادة
 بفقهاء واستفادة من كتبه ، إلا أنني آخذ عليه عندما
 يتحدث عن علاقة الزوج بالزوجة ، يقول إن المرأة تحت أسر
 زوجها وقهره ، كالعبد تحت أسر سيده ، هذا تعبير عن
 الواقع المتخلف وليس تعبيراً عن الإسلام ، ومن هنا
 تراجعت الصيغة الإسلامية في تاريخنا وواقعنا ، وأثر هذا
 الواقع والتاريخ في إنتاج بعض الفقهاء المحدثين ، فهناك
 من حرم على المرأة قيادة السيارة ؛ لابتد من الصراحة ،
 فالمرأة ظلمت في تاريخنا وواقعنا ، وهي والرجل يحتاجان
 إلى التحرير إلا أنها تحتاج إليه أكثر إذ حملت من القيود
 أكثر مما حمل الرجل .. معركتنا في تحرير المرأة تتمثل في
 رفض النموذج الغربي للتحرير ، لأن فلسفته خطأ وثمراته
 كارثة كلها تحلل وشذوذ وحركات مناهضة للأسرة ، هذه
 المعركة لا بد أن تواجه شبهات العلمانيين ضد الإسلام ،
 وشبهات قطاع كبير من الإسلاميين أنفسهم وقد كتبت هذا
 في كتاب (الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده)
 وفي أحد فصول كتاب (الإسلام والمستقبل) وتحت عنوان

(التحرير الإسلامى للمرأة) فى كتاب : (هل الإسلام هو الحل ؟) تناولت الشبهات التى يثيرها العلمانيون والشبهات التى يثيرها بعض الإسلاميين حول نقص عقل المرأة ودينها ، وميراثها وشهادتها ... إلخ .

فى جدول أعمالنا الفكرى لابد من قيادة معركة لتحرير المرأة ، وهناك إنجازات كثيرة كتبت فى الحقل الإسلامى وتستحق الدراسة ، ولعل من أبرزها ماكتبه الشيخ محمد الفزائى والمرحوم عبدالحليم أبو شقة فى كتاب (تحرير المرأة فى عصر الرسالة) وهذه منطلقات تحتاج إلى دراسة ووعى ، للعمل على وضع النموذج الإسلامى لتحرير المرأة موضع الممارسة والتطبيق .

المستبد العادل خرافة !

•• أضاف بعض المفكرين الحرية إلى الضروريات الشرعية الخمس ، ومع ذلك نلاحظ أن هامش الحرية يضيق في إطار التيارات التغييرية ، مما دعا البعض إلى مفهوم المستبد العادل .. كيف تستطيع توسيع دائرة الحرية كحق من حقوق الإنسان النظرية في ظل أجواء من الكبت والاستبداد والفرديية ؟

□ مسألة المستبد العادل نظرية خرافية وعندما قال البعض لجمال الدين الأفغاني أنت تدعو إلى نظرية المستبد العادل ، قال إنها خرافة ، لأنه لا يمكن أن يكون العادل مستبدا والعكس والذي كان يدعو إليه محمد عبده هو (القوى العادل) .. نحن ندرك أن مشكلاتنا وتغلفنا في ميدان الحرية مسألة واسعة وكبيرة ، لأن أمتنا وبلادنا خضعت للاستبداد قرونا طويلة ، وقد يكون لهذا أسباب تاريخية كالانشقاقات التي حدثت في الدولة الإسلامية وحركات استقلال الأطراف عن المركز (الخلافة الإسلامية) والخطر الخارجي واستمراره قرونا طويلة ، فالدولة

البيزنطية مثلاً ظلت قروناً وحتى فتح القسطنطينية تجيش الجيوش ضد الدولة الإسلامية ، والخطر التتري كان مدمراً .. هذه المخاطر عولجت بعسكرة الدولة عبر جلب المماليك ، ولما تضخمت المؤسسة المملوكية العسكرية استولت على السلطة ، وبدلاً من أن تكون أداة في يد الخلافة تحولت الأخيرة لتكون أداة في يد المماليك وعسكرة الدولة كانت وبالأعلى الحرية في المجتمع وفي كتاب (الطريق إلى البقعة الإسلامية) كتبت عن : لماذا تخلف المسلمون ؟ ورصدت هذه الظاهرة وكيف أنه قبل عسكرة الدولة كانت هناك تيارات فكرية وحرية وحوارات واسعة في المجتمعات الإسلامية ، حيث كانت تتم الحوارات والمناظرات في المساجد والقصور ودور الحكمة وغيرها . كان هناك شيعي وسني يتناظران ويشتركان في الوقت نفسه في محل تجاري واحد ، مما كان يؤكد وجود سعة الصدر .

والفقهاء كانوا يؤكدون دائماً أن آراءهم صواب وتحتمل الخطأ وآراء غيرهم خطأ وتحتمل الصواب ، والإمام الشافعي عندما ذهب للصلاة قريباً من قبر أبي حنيفة

التزم بفقهِ أبي حنيفة في الصلاة أدباً واحتراماً له ، وكان الفقهاء يدرسون أكثر من مذهب وكان بعض علماء الأصول الكبار يشتغلون بالفقه والقضاء وكان بعضهم قد درس الفقه على مذهب ويقضى على مذهب آخر وهناك من تتلمذ في الفقه على غير مذهبه وكان لديه تلاميذ من مذاهب أخرى يدرسون على يديه .

لما طالت عسكرة الدولة حدثت عسكرة للمجتمع ، وضائق القيادة السياسية صدرت بالمجتمع حيث سادت عقلية الضيق بمساحة الحرية ، ومنذ سادت العسكرة في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الثاني ، وبدأ من المتوكل العباسي أزيحت كل تيارات الحرية في الفكر الإسلامي ، وبدأ يظهر التيار النصوصي الذي يقف عند ظواهر النصوص ، ويقمع الآخرين ، ويعتبر التفلسف والمنطق نوعاً من الزندقة ، وهذا ما يعرف بتيار الرواية وليس الدراية (تيار البحث والنظر والعقل والتعقل) ومن هنا ضاقت مساحة الحرية في الفكر الإسلامي ، وكان هذا وراء تراجع الفكر الإسلامي نفسه وهذا التراجع صاحبه

نحو في التصوف ، ولجأ الناس إلى الفكر الباطني ..
نحن ورثنا تراثنا من استبداد الدولة وضيق الأفق
والصدر في التيارات النصوصي الذي ساد في الثقافة
الإسلامية ، ثم جاءت المرحلة الاستعمارية بنموذج الحرية
الغربي ، هذا النموذج أسماء عبدالله النديم بـ (الحرية
البهيمية) التي تريد للفرد أن يصنع مايشاء وأن تكون
كل الممارسات الشاذة حلالا مادامت بالتراضي ، وتصبح
له حقوق غير مضبوطة بحقوق الله سبحانه وتعالى ،
ويستطيع الفرد أن يحل الحرام ويحرم الحلال بالتراضي
وهكذا فالزنا بالتراضي مشروع وبدونه غير مشروع والربا
بالتراضي مشروع ، ومن ثم جاءت مفاهيم للحرية مغلوطة
وغيرية عن الضوابط الإسلامية ، فأصبح العقل المسلم
المعاصر محصورا بين شقي رحي :

هذا الموروث ، والحرية المغلوطة الواحدة من الغرب ..
لذلك نحن نحتاج إلى جهود كبيرة في الواقع الفكري
والحياة الفكرية لكي نقدم حقيقة موقف الإسلام من الحرية
وحقيقة ضوابط الإسلام للحرية ، لأن الأخيرة في الإسلام

ليست مجرد حق من حقوق الإنسان ، وإنما هي فريضة ،
إنها حرية الإنسان الخليفة لله سبحانه وتعالى ، لكنها في
الغرب حرية الإنسان سيد الكون ، الإنسان في الغرب هو
الإله يصنع ما يريد بإرادته واستطاعته وحده .. إذن هناك
في الساحة الإسلامية ، وفي بلاد المسلمين من يعتنق
مفاهيم الغرب للحرية والتي تستبجح كل الضوابط
والمحرمات .

ومن هنا نحن - كما قلت - في أمس الحاجة إلى بذل
كثير من الجهود الفكرية في هذا الميدان ، وقد كتبت
كتاباً عن (الإسلام وحقوق الإنسان .. ضرورات لا حقوق)
كان إسهاماً في الموضوع ، حيث عالجت من زاوية جديدة
وأكدت أن لدينا فلسفة مختلفة عن فلسفة حقوق الإنسان
في الغرب وعندما راجعت وثائق الدولة الإسلامية في
العصر النبوي والخلافة الراشدة والدولة العباسية اطلعت
على خطب الولاة وقرأت الأوامر الإدارية ، ولاحظت أن
الفلسفة في العصر الراشد كانت تقوم على مبدأ
(أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله

فلا طاعة لى عليكم) وأما فى الدولتين العباسية
والأموية فكان تركيز الخطب والأوامر الإدارية على فكرة
الطاعة أكثر من فكرة الحرية ..

وبالرغم من أن فقهاء بخير وعلماءنا ظلوا فى أحضان
الأمة على مر التاريخ ، وليس فى أحضان السلطة فإن
هناك من الفقهاء من أرادوا تطوير الأمة وتحجيم حريتها ،
إما تقريبا للسلطة وأما مراعاة للخطر الخارجى ، والأخير
كان يستدعى طاعة الأمة لأولى الأمر وفى هذا الإطار
رفع شعار (لاصوت يعلو على صوت المعركة) لوجود
مهدد ، فصلاح الدين الأيوبي قتل السهورردى لأنه كان
يشير قضايا فلسفية كانت تبلى أفكار الناس فى ظل
الخطر الصليبي ، وابن تيمية مات فى سجن المماليك ،
لكنه كان يحارب معهم ، فقد تراجعت عنده قضايا الحرية
والشورى أمام الخطر الماحق .. بعض العلماء أراد أن
يطوع الفكر الدينى للاستبداد ، فتحدث عن الوفاء
بالببيعة حتى وإن ظلمك وإن ضريك وإن رأيت منه ما تكره
وهذا نوع من التزييف للفكر الإسلامى ، لأن كل الأحاديث

التي رويت في الطاعة المطلقة كانت تتحدث عن بيعة
للأمير والأمير في المصطلح النبوي هو أمير الجيش لكن
هؤلاء نقلوا الكلام إلى الولاة ، فحدث "من مات وليس
في عنقه بيعة ، فقد مات ميتة جاهلية " هذا الحديث
يتحدث عن بيعة النبي (صلى الله عليه وسلم) التي
تعني الخروج من الجاهلية إلى الإسلام وليس بيعة الأمير ،
سواء كان أمير دولة أو جماعة .

لقد راجعت كل هذه الأحاديث التي تدعو إلى الطاعة
المطلقة ، فوجدت أن رسول (صلى الله عليه وسلم) كان
يعلم أصحابه الطاعة الواعية ، والصحابة كانوا يراجعونه
وكان يأخذ بمشورتهم وينزل على رأيهم ، وهو ما حدث في
أحد الأحزاب ويدر ، والرسول كان لا يعين أميرا إلا
بالمشورة ، وكان يقول : " لو كنت مؤمرا أحدا دون مشورة
المؤمنين لأمرت ابن أم عبد " (عبد الله بن مسعود) ،
إذن فالمشورة ملزمة وكان يقول لأبي بكر و عمر : " ولو
اجتمعنا في مشورة ما خالفكما " . هذا الفكر تراجع
وطوعت بعض الأحاديث وزيفت الحساب وخدمة بعض

قيادات الأمة وحكامها المستبدين ، وقد اجتزئت الأحاديث
وفسرت لصالح الأمير ، وتحت عنوان « شبهات علماء
السوء » كتبت دراسة لكى أوضح هذه المشكلة فى الفكر
الإسلامى ، إن هذه القضية فى تراثنا وفى واقعنا تحتاج
إلى جهد كبير لإزالة الغبار الذى علق بمفاهيم الحرية
والقيود التى فرضت عليها والأخطاء المغلوطة التى طرأت
عليها من الفكر الغربى .. وقد أعجبني عندما درست
عبد الله النديم وكتبت عنه دراسة الانتصاء الثقافى قوله
بالحرية البهيمية فى الغرب ، ثم عرف الحرية فى الإسلام
بأنها « طلب الحقوق والوقوف عند الحدود » ، وهذا تعبير
عظيم ودقيق وراق وواف .

إمْتِدَادٌ مُتَطَوِّرٌ

•• زعم د. وجيه كوشرانى فى أحد مقالاته أنكم فى

بعض كتاباتكم تكتفون بشرح فكر المدرسة

الإصلاحية دون إبداع .. كيف ترون هذا الزعم ؟

□ إن شرح المدرسة الإصلاحية وتسلط الضوء عليها

ضرورة .. هذا ليس اتهاماً ، ولكنه فخر بكل المقاييس ولا

أتصور أن قائل هذا الكلام قد قرأ المشروع الفكرى الذى

قدمته ، فقد أثريت المكتبة بما يزيد على مائة كتاب ، ولا

أتصور أنه يعرف عناوينها ، وهذا الرجل دافع عن نصر

أبو زيد دفاعاً مقبلاً لا مجيداً مع أنه لم يقرأ فكر نصر

أبو زيد ! ولم يقرأ ما كتبتة عن نصر أبو زيد ، إنه يدافع

عن العلمانية بشكل غير عادى .. أفخر بأننى خدمت

المدرسة الإصلاحية أكثر مما خدمها الآخرون ، فقد أنفقت

خمس سنوات من حياتى فى جمع أعمال محمد عبده ،

والأخير قبل أن أقدم له هذه الخدمة لم يكن له سوى مؤلف

حول الإسلام والنصرانية ورسالة التوحيد وتفسير سورة

الفاتحة وجزء عم ، والآن أصبح له خمسة مجلدات تقترب

من أربعة آلاف صفحة ، لقد راجعت خلال خمس سنوات دوريات قرن كامل لأجمع هذه الأعمال وكان هناك ثمانون نصا شائعة بينه وبين الأفغانى ورشيد رضا وسعد زغلول وعبد الله النديم وليبيب إسحاق وحققت هذه النصوص وانتقدتها وأصبح الآن محمد عبده فاعلا فى العقل العربى والمسلم فهناك عشرات الرسائل الجامعية وعشرات المؤلفات التى رجع أصحابها إلى الأعمال الكاملة لمحمد عبده .

وفضلا عن الأعمال الخاصة بالإمام محمد عبده أعددت نفس الشئ عن الكواكيب والأفغانى والطهطاوى وعلى مبارك ، لقد خدمت هذه المدرسة وصنعت ذلك وأعيانا لأننى أدركت أننا نواجه بأناس يريدون أن يبحثوا علاقتنا بسرائرنا ، وأن نبدأ من حيث انتهى الغرب ، وهناك من يريد أن نعيش فى تجارب وفكر عصر التراجع الحضارى لأمتنا ، فموعى ومنذ منتصف الستينيات عكفت على تقديم تراث الاستنارة واليقظة والتجديد فى فكر هذه المدرسة الإسلامية ، لأننى أدركت أن الأفغانى أستاذ

محمد عبده ، ومحمد عبده أستاذ رشيد رضا ، ورشيد
رضا أستاذ حسن البنا .

ولى دراسة عن الشواهد والتفسيرات فى فكر البقطة
الإسلامية الحديثة ، لأن الناس يتصورون أنهم كانوا
يتراجعون ، وأن محمد عبده تخلف عن الأفغانى ، ورشيد
رضا تخلف عن محمد عبده ، نحن امتداد متطور لهذه
المدرسة ولستنا نسخة من محمد عبده برغم عظمة هذه
المدرسة .

أذلاء أمام أرسطو

•• كوثرائي يقصد أنك لست مبدعاً في تعرضك

لفكر هذه المدرسة ؟

□ نحن نفهم الإبداع على أنه ليس الثورة على الموروث والقطيعة المعرفية معه ، الذين يدعون هذا الكلام هم أسرى لمفهوم الحداثة الغربي الذي يقاطع الموروث ، أما إبداعنا فلا يقاطع موروثنا ، لأننا محكومون بضوابط الشرع ، فليس هناك كتاب أثر في كالقرآن الكريم ، وليس هناك نموذج ومثل أعلى مثل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن هل نحن نعيش قبل أربعة عشر قرناً ، نحن امتداد متطور لتجارب السلف ، ومن منا لا يستصغر نفسه بجوار عمر بن الخطاب وعمر بن العزيز والشافعي وأبي حنيفة ، لقد قرأت كتاباً عن الشافعي احتوى كلاماً غير لائق به على الإطلاق ، ونفس الحال عن الشاطبي ، في حين لو قرأنا رسالة الشافعي نشعر أننا أمام فنان يصوغ العبارة بدقة ، فضلاً عن العمق الفكري الذي يشعرون بأنه عملاق في هذا التراث ، ونفس الأمر ينسحب

على الشاطبي .

وهؤلاء الذين يسيئون إلى أئمتنا يقفون أذلاء أمام
أرسطو وأفلاطون والمفكرين الغربيين ، لا يقتأون بلوكون
أسماء مفكرى الغرب ، وبعد ذلك يعيبوننا بأننا نحترم
فكر المدرسة الإصلاحية ، والله هذا شرف أرجو أن يكون
لنا فيه نصيب .

المدرسة الإصلاحية

•• لماذا تنظرون دائما برؤية إيجابية إلى تراث المدرسة الإسلامية برغم السلبيات الموجودة لديها ، وخاصة الفكر التوفيقي والردة عن الثورة عند محمد عبده وضعف الجانب الفكري والثقافي عند الأفغانى ؟

□ هذه الاتهامات تحتاج إلى مراجعة فقد انتقدت الفكر السياسى عند محمد عبده برغم أننى أعتبره المهندس فى هذه المدرسة ورأى « أن الجانب السلبي أثمر ثرة إيجابية فعندما طلق السياسة تفرغ للفكر فأعجز ما لم يستطع أن ينجزه الأفغانى ، أما الأفغانى فقد أعجز فى السياسة ما لم يستطع محمد عبده أن ينجزه ، وقد أخذت على محمد عبده أنه أقام تناقضا بين الأمرين ، بينما نحن نحتاج إلى الأمرين معا ، أى نحتاج إلى من يكون راهبا فى محراب الفكر وراهبا فى محراب السياسة ، لأن هذا يكمل ذلك ، ولا يتناقض معه . ولم يعجبني موقف محمد عبده من مصطفى كامل حيث كان يعتبره مهيجا وصاحب أفكار عصبية ، فقد كنا نحتاج إلى من يوقظ الأمة بعد كارثة الاحتلال ، ونحتاج إلى محمد عبده الذى يفسر

القرآن ويبدع في العقلانية ، أرى أن هذه الرموز كانت
مكملة لبعضها البعض ، فالأفغانى أوقد الشرارة حيث
كان عقلا كبيرا وأنا الآن أقف أمام نصوصه لاكتشف فيها
الجديد ، فهو رائد هذه المدرسة ومحمد عبده هو أستاذ
التلاميذ ، ورشيد رضا كان إماما ، فحمل فكر هذه
المدرسة وفكر الإحياء والتجديد أربعين عاما في مدرسة
المنار التي كانت أوسع مدارس الإصلاح الإسلامى حيث
جابت الشرق والغرب ، أما حسن البنا فقد نقل القضية
إلى الأمة لما عمت بلوى الاحتلال وقد عقدت دراسة عن
حسن البنا ضمن كتاب (الصحة الإسلامية والتحدى
الحضارى) أوضحت فيها أنه لما عمت بلوى الاستعمار
وبعد سقوط الخلافة الإسلامية كان لابد من إشراك الأمة ،
وهذا هو إنجاز البنا ...

هذه مدرسة متكاملة كما قلت ، كل منها يضيف
ما يواكب مستجدات عصره ، حسن البنا التحم بال جماهير
ومحمد عبده ارتبط بالإبداع الفكرى ، ورشيد رضا إلى
جانب أنه حمل الفكر إلى العالم كانت لديه قدرة التوثيق

فمحمد عبده كان لا يهتم بالمأثورات بل كان يطرح الفكر والتجديد العقلاني ورشيد رضا يضبط هذه الرؤى بالمأثورات وهو نفس ماحدث مع الغزالي والقرضاوى ، فالغزالي كان يطلق القذائف الفكرية والقرضاوى يدعم هذه القذائف بالأحاديث والآيات والمأثورات .

ومن قال إن الأفغانى كان لديه ضعف فى الثقافة ؟ الأفغانى وهو فى سن الثامنة عشرة كان يعرف العربية والفارسية والفقه واللغة والنحو والصرف والحديث والتفسير والمنطق والطب والتشريع والفلك .

●● قلت له مقاطعا : ربما لأنقصد ثقافته الخاصة .

ولكن نقصد أنه ليس له موروث ثقافى ؟

□ لقد حدث معه ماحدث مع محمد عبده . حيث كان له فى المكتبة رسالة الرد على الدهريين فقط . فقامت بجمع أعماله ويصدد استكمالها فى أربعة مجلدات وأصدرت منهما مجلدين ، وكان هناك كتاب منسوب لمحمد عبده وفى تحقيقى له نسبته إلى الأفغانى ، الأفغانى كان يملئ ولا يكتب ، الأفغانى كان صانع رجال

أكثر منه مؤلف كتب . وموقف محمد عبده من الثورة موقف قديم ، حيث كان يرى أن الإصلاح يبدأ بإصلاح مناهج الفكر والتربية وصنع العقول وإصلاح المؤسسات التي تصنع العقل ، وكان همه إصلاح الأزهر والمساجد والأوقاف والقضاء ، ولكن الاستعمار لم يمكنه من هذا .. كل أعلام الفكر الحديث تلاميذ هذه المدرسة ، هذا فضلا عن عطائها عند حسن البنا والحركات الإسلامية .

•• بعض العلمانيين يعتبرونكم المنظر الدولي

للحركة الإسلامية .. كيف ترون هذا القول ؟

□ هذا شرف لا أدعيه ، إلا أنها قولة حق أريد بها باطل حيث يقولون هذا لا بدافع المديح ، وإنما بدافع توجيه الاتهامات واستعداد السلطات لكن نحن لانخشى إلا الله سبحانه وتعالى ، وأدعو الله دائما أن يعينني على نصرته هذا الدين ، وأن يجعلني لسان صدق ، وأن يؤيدني بالحق ويؤيد الحق بي ، فإذا استجاب الله دعائي وجعل ما أقوم به إسهاماً في هذا الميدان ، فهذا ما أتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى .

فریق کو بنہا جن

•• أثيرت مؤخرا مسألة التطبيع مع الكيان الصهيونى

وقيام (فريق كوينهاجن) بهذا الدور .. كيف

ينظرو - عمارة إلى هذا ؟

□ لست جزءا مما يقال عن اختراق الحياة الثقافية فى مصر أو غيرها ، لأننى أنظر إلى رموز كوينهاجن على أنهم أدوات للدولة فى هذا الموضوع ، هذه الرموز قريبة من صناع القرار ، ولا يجرؤ أحد أن يتحرك فى هذا الميدان إلا أن يكون مدفوعا من أجهزة الدولة ، الدولة لا تريد أن تلزم الأمة بالتطبيع مع إسرائيل ولا تحمل مؤسسات الأمة الرسمية عبء الحوار والتطبيع مع العدو ، لكنها أحيانا تحتاج إلى من يجس النبض .. الحكومة تستخدم بعض الأسماء التى لها ميل فى هذا الميدان ، وهؤلاء يقفون مع إسرائيل فى خندق واحد ضد التيار الإسلامى ، وهم جزء من حاشية المفاوض ، ولا يمثلون الأمة ولا يمثلون الحركة الثقافية ، ولا الحركة السياسية .

الإسلام... أبو العروبة

•• فى تقديركم ،مامدى نجاح مسألة الحوار القومى

الإسلامى ؟ وهل يمكن تجاوز ميراث العداء الطويل ؟

□ نحن نعيش فى عصر يختلف عن نظيره الماضى ،
والأجيال الحالية لم تشارك فيما حدث ، وقضية
الصراعات بين التيارين القومى والإسلامى تحتاج إلى
مراجعة ، نحن الآن أمام مخاطر تهدد وجودنا جميعا ،
ورأى أن التيارين القومى والإسلامى كلاهما يمثلان
أصالة الأمة ، أما التيارات المتغربة ، فهى امتدادات
سرطانية للمعدو فى قلب الواقع الإسلامى ، أما التيار
العربى الذى لم يتغير ولم ترشح عليه الماركسية فهو مع
التيار الإسلامى الوسطى المعتدل فى خندق واحد ، ويتبغى
أن يكونا تيارا واحدا ، لأن العروبة كثقافة ولغة هى لسان
الإسلام ، والتمييز بين العُروبيين والإسلاميين حدث فى
ظل الغزوة الاستعمارية ، رشيد رضا كان عربيا وإسلاميا
محمد عبده يقول : (كان الدين عربيا ، ثم أصبح العلم
عربيا) الشاطبى يقول (الشريعة عربية) وابن باديس
يقول :

(شعب الجزائر مسلم)

والى العروبة ينتسب)

إذن العروبة لسان الإسلام ، وهذا هو نموذج مصر وشمال إفريقيا ، الذى لا يفرق بين العروبة والإسلام .
لكن التفريق جاء من بعض مدارس الشوام وقد كتبت دراسة فى فكر ميشيل عفلق وتوصلت إلى أشياء مذهشة فى مقام الإسلام ، ولذلك أتصور أن نتطلع مستقبلا إلى تلاحم التيارين مرة أخرى ، ونحن نرفض العنصرية لأنها لا علاقة لها بقوميتنا ولا بإسلامنا .. والعلاقة بين العروبة كلسان ولغة وبين الإسلام كدين علاقة عضوية ، فلا يمكن أن يفهم الإسلام إلا بالعربية ، والعرب لم يكن لهم قسيمة فى التاريخ إلا بالإسلام ، كما أن القدماء يقولون : (العرب وعاء الإسلام) والإسلام روح العرب ، وقد قال ميشيل عفلق إن العروبة ولدت ولادة جديدة بظهور الإسلام ، والإسلام هو أبو العروبة .

•• لكن تردد أن ميشيل عفلق كان معاديا للإسلام ،

وإن أظهر غير ذلك ؟

□ مسألة عداوة ميشيل عفلق للإسلام تحتاج إلى مراجعة فقد قال عفلق : أحببت الإسلام لحبي للأمة العربية فلما اقتربت من الإسلام أصبح الحب للإسلام وإذا كنت أعجب من المسلم الذي لا يحب العربي ، فأنا أشد عجبا من العربي الذي لا يحب الإسلام - وحديثه هنا عن الأقليات غير المسلمة ، إذ يدعوها إلى أن تعتبر أن الإسلام هو أعظم شيء في تاريخها وتراثها وقوميتها ويطولتها هذا وقد رصدت تطوره الفكري منذ الثلاثينيات وحتى وفاته فقد تطور في هذا الميدان تطورا كبيرا ، وليس هذا خاصا بميشيل عفلق وحده فحتى عبدالناصر لم يكن علمانيا ولا توجد دولة عربية علمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة فكلام عبدالناصر عن الدين بعد ٦٧ له شأن وقد كتبت هذا ردا على لويس عوض عندما قال إن مصر دولة علمانية من محمد علي وحتى عبدالناصر ، فأكدت أن هذا كلام غير صحيح فالاستعمار هو الذي

فرض القانون الوضعى فى مصر .. ومن هنا فالتيار
القومى فى حاجة إلى أن يقرأ أدبيات التيار الإسلامى
والأخير أيضا يحتاج إلى قراءة أدبيات التيار القومى ،
وهذا من نقاط الضعف فى حياتنا السياسية والفكرية ،
نحن نعانى حالة طائفية ثقافية ، فهناك من لا يقرأ
الكتاب لمجرد معرفته بأن الناشر ليس من تيار يروق له
فقد كانت صورة ميشيل عفلق فى ذهنى ليست فقط
سلبية ، لكنها كانت صورة لجناسوس ، وكتبت على غلاف
الكتاب أن المؤلف قبل كتابة هذا الكلام لم يكن يتصور
أن هذا فكر ميشيل عفلق والحقيقة أننى لو وجدت كافرا
يتحدث عن الإسلام بشىء من الإنصاف لابد أن أفرح ،
فما بالناس بمن يتحدث عنه بحب شديد ، وصل إلى أنه
أصبح يفسر بعض الآيات القرآنية ويقول إن الإسلام
يحدث له هزة روحية ، ومن هنا فإن نصيحتى إلى
القوميين والإسلاميين أنه إذا كان هذا هو مقام الإسلام فى
فكر أعظم منظر قومى ، فلا بد من إعادة النظر فى
موقفكم من الإسلام ، وأقول للإسلاميين إذا كان هذا هو

مقام الإسلام في فكر أعظم منظر قومي ، فلا بد من إعادة النظر في المشروع الفكري القومي ، فالأفكار المسبقة خطيرة ، والأحكام الصادرة دون قراءة خطيرة ، لأنها أحيانا تحرمنا من سند نحن في حاجة إليه ، نحن في الحوار نستشهد على عظمة الشريعة الإسلامية بكلام الخواجات فإذا كانت هذه شهادة من ميشيل عفلق فهل نهدرها ؟ وهل إذا قبل إنه اعتنق الإسلام نرفض ذلك ؟

●● اشترتم إلى أن عضلق اعتنق الإسلام ، فهل هذه

المسألة موثقة وثابتة ؟

□ حينما مات أعلن في بيان القيادة القومية أنه اعتنق الإسلام ديناً ، لكنه أثر هو ورفاقه ألا يذاع هذا حتى لا يساء تفسيره ، وقد أكد ذلك كل الذين كانوا يلتقونه فقد التفتته الكاتبة الإسلامية صافي ناز كاظم حينما كانت في بغداد ، وأكدت لها أنه مسلم وليس في بيته شيء غير مسلم سوى أكلة لبنانية تسمى (الكبيبه) حتى إنه أطلق على ابنه اسم محمد ، وقد التقيت إلياس

فرح أحد قيادات حزب البعث وأقرب الناس لعفلق وهو مسيحي ، وقلت له لقد توقفت أمام نص قاله عفلق في سنة ١٩٤٣ في خطبة إبان ذكرى النبي صلى الله عليه وسلم بجامعة دمشق ، قال فيها :

(أنا حريص على الإيمان حرصا شديدا لأنني اكتسبته اكتسابا ولا أرثه تقليدا) فما تفسير ذلك هل كان ملحدا ثم دخل المسيحية ؟

قال : إنه الإسلام ، وسجلت أن فرح كان يقول ذلك وهو سعيد ، فقد قال رفيق دربه إنه أسلم ، وقد تتبععت موقف عفلق من الإسلام ، فوجدت أنه كان مع الإسلام منذ اللحظة الأولى ، ودرس الماركسية وقال بصراحة إن الإسلام هو الذي جعلنا قوميين وليس ماركسيين .

جیش واحد

●● إلى أى مدى يقترب أو يبتعد د . عمارة عن فكر

جماعة الإخوان المسلمين ؟

□ كما أشرت فإن الظاهرة الإسلامية هي ظاهرة واحدة مع تعدد الثغرات التى يقف عليها كل فريق ، فأنا من الذين تفرغوا للثغرة الفكرية فى إطار المنهج الوسطى ، والإخوان فى طبيعة الحركات ذات المنهج الوسطى ، فلا أشعر أن بينى وبين الإخوان أية تناقضات ، نحن جميعا جيش واحد ، لكننا كتائب على ثغرات متعددة .

●● تواجه اللغة العربية حصارا إعلاميا وتعليميا

برضهم محوريتهما على المستويين القومى والإسلامى

ما علاقة ذلك بالغزو الفكرى ؟

□ فيما يتعلق باللغة العربية فإنها لسان الإسلام ، وذاتية الأمة وهويتها تتكون من دينها ولغتها وتاريخها ، والحصار الذى يواجه هذه الهوية بعناصرها الثلاثة له علاقة بالغزو الفكرى ، ونحن فى دفاعنا عن هويتنا لا بد من مواجهة هذا الغزو الفكرى ، وفى مواجهته لا بد من

الوعى كى نميز بين الإنسان الغربى والمشروع الغربى ،
فالإنسان الغربى لا مشكلة لنا معه ، وكذلك العلم الغربى
مشكلتنا مع المشروع الغربى والقيم الغربية التى تحتاج
القيم الإسلامية ، وأتصور أن معاركنا الداخلية وثيقة
الصلة بالاجتياح الغربى ، حتى عندما نحارب الاستبداد
الداخلى نجده محروسا بالغرب ، أى أن الغرب يصنع هذه
الأنظمة .

الأمة هي التي تعترف

•• برزت في الفترة الأخيرة أسماء يسبقها لقب
(مفكر إسلامي) بينما ينأى مضمون فكر هذه
الأسماء تماما عن الإسلام ، في تقلد يركم من هو
المفكر أو العالم الحقيقي ؟

□ كل أمة على مر تاريخها تمنح العلماء مرتبة العلم
فالعالم ليس بالشهادات ولا الألقاب ، والمفكر هو من
تعترف به الأمة ، والذين يفرضون على الأمة عبر سطوة
الإعلام تموت هذه الهالة مع موتهم ، لويس عوض مثلا
كان مفروضا على الأمة ، وعلى صفحات الصحف ،
وعندما مرض حملته الطائرات إلى باريس ليعالج ،
وعندما توفي حدثت مناخة ، ومع ذلك دخل مشروعه
الفكري معه المقبرة ، وعلى العكس : سيد قطب قتلته
الدولة فتفرد في أن يكون أكثر الناس انتشارا وأكثرهم
قدرة على التعبير وتجبيش الجيوش في العالم كله ، فقد
ضرب مشروعه الفكري بجذوره في الأرض .. الأمة هي
التي تحدد من هو الذي يدافع عن الإسلام ويخدم في هذا
الحقل ويستحق لقب العالم أو المفكر ، فقد أطلق على

العز بن عبدالسلام لقب (سلطان العلماء) فأصبح للعلم
سلطان ، كما أن للدولة سلطانا ، وكان سلطان العلماء
أعلى من سلطان البطل الشعبي الظاهر بيبرس فالأخير
حينما نظر إلى جنازة العز بن عبدالسلام قال :
(الآن استراح عرشي واستقر) ، وفي التصوف وجدنا
من يسمى (سلطان العارفين) .

فهرس الكتاب

١١	إسلامية المعرفة
١٩	الإلتزام الإسلامى
٢٣	الظاهرة الإسلامية
٣١	الوسطية الجامعة
٣٧	المرأة ظلمت أكثر
٤٥	المستبد العادل خرافة
٥٥	إمتداد متطور
٦١	أذلاء أمام أرسطو
٦٥	المدرسة الاصلاحية
٧١	فريق كوينهاجن
٧٥	الإسلام أبو العروة
٨٣	جيش واحد
٨٧	الأمة هي التى تعترف

٩٨ / ١٤٠٤٤
977 - 220 - 152 - 6

رقم الإبداع

- إسلامية المعرفة
- الإلتزام الإسلامى
- الظاهرة الإسلامية
- الوسطية الجامعة
- المرأة ظلمت أكثر
- المستبد العادل خرافة
- إمتداد متطور
- أذلاء أمام أرسطو
- المدرسة الاصلاحية
- فريق كوينهاجن
- الإسلام أبو العروبة
- جيش واحد
- الأمة هى التى تعترف